

إشكاليات البحث الاجتماعي: الأخطاء الشائعة، الضوابط الأخلاقية، مقدمة يُعدّ البحث العلمي الأساس الذي تقوم عليه المعرفة المنظمة في مختلف العلوم، لأنه يساعد الباحث على تفسير الظواهر وفهمها بالاعتماد على خطوات منهجية واضحة وأدوات دقيقة. وهما مجالان يتسمان بالتغير والتعقيد. لذلك لا يكفي أن يجمع الباحث معلومات متفرقة، بل يجب أن يلتزم بقواعد علمية وأخلاقية تضمن جودة النتائج وموثوقيتها. ومن هنا تأتي أهمية التعرف إلى الأخطاء الشائعة في البحث العلمي، وفهم المبادئ الأخلاقية التي تحكم عمل الباحث، والتمييز بين أهم المناهج المستخدمة في دراسة الظواهر الاجتماعية، مثل منهج المسح الاجتماعي والمنهج التجريبي. أولاً: الأخطاء الشائعة في البحث العلمي يقع بعض الباحثين في أخطاء منهجية تقلل من قيمة البحث العلمي، ومن أبرز هذه الأخطاء ما يأتي: (1) عدم تحديد مشكلة البحث بصورة دقيقة من الأخطاء الشائعة أن يبدأ الباحث بدراسة موضوع واسع أو غامض دون صياغة مشكلة بحثية واضحة. فعندما تكون المشكلة غير محددة يصبح من الصعب وضع أهداف دقيقة أو صياغة أسئلة مناسبة أو اختيار أدوات جمع بيانات ملائمة. كما أن غموض المشكلة يؤدي غالباً إلى نتائج عامة لا تضيف معرفة علمية حقيقية. (2) اختيار عينة غير ممثلة لمجتمع الدراسة العينة هي الجزء الذي يعتمد عليه الباحث لفهم المجتمع الأصلي، ولذلك فإن ضعف اختيار العينة من أكثر الأخطاء تأثيراً في النتائج. أو لا تمثل الفئات الأساسية في المجتمع، فإن النتائج تصبح غير دقيقة ولا يمكن تعميمها بثقة. (3) التحيز في جمع البيانات أو تفسيرها قد يحدث التحيز عندما يصوغ الباحث أسئلة تقود المشاركين إلى إجابات معينة، أو عندما يفسر النتائج بما يتوافق مع توقعاته الشخصية بدلاً من عرضها بموضوعية. وهذا خطأ يضعف صدق البحث وحياده، لأن الهدف من البحث العلمي هو الوصول إلى نتائج مبنية على الأدلة لا على الميول الشخصية. مثال تطبيقي يوضح أحد الأخطاء إذا أراد باحث دراسة أثر استخدام وسائل التواصل الاجتماعي في التحصيل الدراسي لدى طلبة الجامعة، ثم وزّع الاستبانة على مجموعة صغيرة من أصدقائه فقط، فإن هذا المثال يوضح خطأ واضحاً في اختيار العينة. فالنتائج هنا لن تمثل جميع طلبة الجامعة، لأن المشاركين لا يعكسون التنوع الحقيقي في المجتمع من حيث التخصص أو السنة الدراسية أو المستوى الأكاديمي. لذلك تكون النتائج محدودة ولا يمكن الاعتماد عليها في إصدار أحكام عامة. ثانياً: أخلاقيات البحث العلمي أخلاقيات البحث العلمي هي مجموعة المبادئ والقيم التي تنظم سلوك الباحث أثناء إعداد الدراسة وتنفيذها وتحليل نتائجها ونشرها. وتعزيز النزاهة العلمية، وضمان أن يكون البحث قائماً على الصدق والاحترام والمسؤولية. ولا يقتصر نجاح البحث على صحة نتائجه فقط، (1) الأمانة العلمية تعني الأمانة العلمية أن يلتزم الباحث بالصدق في عرض المعلومات والنتائج، وألا ينسب أفكار الآخرين أو أعمالهم إلى نفسه، وأن يوثق المصادر التي اعتمد عليها توثيقاً صحيحاً. وتُعد الأمانة العلمية أساس الثقة في البحث العلمي، لأن أي تلاعب في المعلومات يفقد الدراسة قيمتها الأكاديمية. (2) احترام خصوصية المشاركين وسرية بياناتهم من المبادئ الأخلاقية الأساسية أن يحافظ الباحث على سرية المعلومات التي يحصل عليها من المشاركين، خصوصاً إذا كانت مرتبطة بأرائهم أو ظروفهم الاجتماعية أو أوضاعهم الشخصية. ولذلك يجب استخدام البيانات لأغراض البحث فقط، وعدم الكشف عن الأسماء أو التفاصيل الخاصة إلا بموافقة صريحة. كما ينبغي إبلاغ المشاركين بهدف الدراسة وطبيعة مشاركتهم بصورة واضحة قبل جمع البيانات منهم. ثالثاً: منهج المسح الاجتماعي منهج المسح الاجتماعي هو منهج بحثي يُستخدم لجمع معلومات وبيانات عن ظاهرة اجتماعية من خلال دراسة مجتمع معين أو عينة منه، وذلك بهدف وصف الظاهرة، وتحليلها وفهم خصائصها واتجاهاتها. ويُعد هذا المنهج من أكثر المناهج شيوعاً في البحوث الاجتماعية والتربوية، لأنه يساعد على دراسة عدد كبير من الأفراد بطريقة منظمة، غالباً بالاعتماد على الاستبانة أو المقابلة أو الاستمارة المقننة. أنواع منهج المسح الاجتماعي (أ) المسح الشامل ويُقصد به دراسة جميع مفردات المجتمع الأصلي دون استثناء. ويُستخدم هذا النوع عندما يكون عدد الأفراد محدوداً ويمكن الوصول إليهم جميعاً، (ب) المسح بالعينة وهو الأكثر استخداماً في الدراسات الاجتماعية، حيث يختار الباحث عينة تمثل المجتمع الأصلي بدلاً من دراسة جميع أفرادها. (ج) المسح الوصفي يركز على وصف الظاهرة كما هي في الواقع، مثل دراسة مستوى استخدام الطلاب للتعلم الإلكتروني أو التعرف إلى اتجاهاتهم نحو خدمة معينة. (د) المسح التحليلي لا يكفي هذا النوع بوصف الظاهرة، بل يحاول تفسير العلاقات بين المتغيرات المرتبطة بها. رابعاً: المنهج التجريبي المنهج التجريبي هو منهج علمي يقوم على دراسة العلاقة بين المتغيرات من خلال التحكم في بعض العوامل وملاحظة أثر متغير معين في متغير آخر. ويتميز هذا المنهج بقدرته على الكشف عن العلاقات السببية، لأنه يسمح للباحث بتطبيق معالجة أو متغير محدد، التمييز بين المتغير المستقل والمتغير التابع المتغير المستقل هو العامل الذي يتحكم فيه الباحث أو يغيّره عمداً لمعرفة أثره. أما المتغير التابع فهو النتيجة التي تتأثر بتغير المتغير المستقل، ويقوم الباحث بقياسها لمعرفة مقدار هذا الأثر. مثال يوضح العلاقة بين المتغيرين إذا أراد باحث معرفة أثر استخدام استراتيجية

تدريس حديثة في رفع مستوى التحصيل الدراسي لدى الطلاب، فإن استراتيجية التدريس تُعد المتغير المستقل، لأنها العامل الذي أدخله الباحث في التجربة. أما مستوى التحصيل الدراسي فهو المتغير التابع، لأنه النتيجة التي ستتغير بحسب فاعلية الاستراتيجية المستخدمة. فإذا طبقت الاستراتيجية الجديدة على مجموعة تجريبية، وقورنت نتائجها بمجموعة أخرى درست بالطريقة المعتادة، فإن الفرق في النتائج يساعد على تحديد أثر المتغير المستقل في المتغير التابع. خاتمة واختيار عينة مناسبة، كما أن الالتزام بأخلاقيات البحث العلمي، مثل الأمانة العلمية وحفظ السرية، يُعد شرطاً أساسياً للحفاظ على قيمة البحث ومصداقيته. كذلك يُعد كل من منهج المسح الاجتماعي والمنهج التجريبي من المناهج المهمة في دراسة الظواهر الاجتماعية، إذ يساعد الأول على وصف الظواهر وفهم خصائصها،